© ٢٠١٨ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
المجلد ١٠، ع(٢)، ديسمبر، كانون أول ٢٠١٨م، ص١٢٥-١٣٨

منهج القرآن وإعجازه الموسيقى في الآيات الكونية؛ دراسة تحليلية من خلال فنّ الطباق في جزء عمّ[*]

وان أزورا وان أحمد،[١] عدنان يوسف، هشام الدين أحمد،
ربيعة العدوية محمد، أحمد سانوسي عزمي، زيني زكريا، ذاتي عدلين مد جليل[٢]

(*The Method of the Qur'an and Its Acoustical Miraculous in Kawniyyat Verses: An Analytical Study through the Antithesis (Al-Tibaq) in the Part (Juz' of Amma)*[3]

Wan Azura Wan Ahmad *et al.*

ABSTRACT

Antithesis (al-Tibaq) is one of the semantic embellishment which is found variously in the Quran, Sunnah, and always used among the rhetorical scholars. It is one of the greatest enhancers effect in the beautification of the style; highlighting the meanings, because it transcends the phenomena of words to the intonation, and does not stand at the words itself, but exceed the meanings. The significance of this study in its attempt to highlight the hidden significance and the secret of the miracle of Qur'anic interpretation, and then detect the aesthetics style of the Holy Quran rhetorically especially acoustical terms in it. Furthermore, it is important to highlight the importance of using proper pronunciation and word of emphasis meaning and integration between word and meaning in the Quran. And all this come out through a deep analysis of the Quranic evidence reveals three aspects, namely: the purpose of rhetoric, rhetorical semantics, as well as the mystery of miracles in the Holy Quran. The study concluded that the hidden connotations of the *al-Tibaq*, especially in the *kawniyyat* verses (related to the creation), played a major role in highlighting the Quranic rhetoric and its aesthetics in the Qur'anic verses, as well as its role in highlighting the acoustical miraculous of the Holy Quran.

Keywords: *Quran, letter traits, rhetorical inimitabil*

---

[*] This article was submitted on: 7/04/2017 and accepted for publication on: 7/07/2017.

[١] د. وان أزورا، كلية دراسات اللغة الرئيسة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، wanazura@usim.edu.my

[٢] كلية دراسات اللغات الرئيسة، وكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية، بندر بارو نيلاي، نجري سمبيلان، ماليزيا.

[3] **Acknowledgement:** This article is a part of research entitled "A New Model of Structured Maqamat al-Quran Based On Semantic Analysis on Acoustical Element in the Quran". Funded by: Funded by: Ministry of Higher Education, Grant No: TRGS/1/2015/USIM/02/1/3. Therefore, the researchers appreciate the great support of the KPT and USIM.

ملخص

الطباق هو أحد فنون البديع المعنوية التي كثر ورودها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام البلغاء. فهو من أعظم المحسنات أثرا في تجميل الأسلوب؛ وإبراز المعاني، لأنه يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، ولا يقف عند الألفاظ، وإنَّما يتجاوزها إلى المعاني. تتجلى أهمية هذه الدراسة في محاولتها إبراز الدّلالة الخفية وسرّ الإعجاز في التفسير القرآني، ومن ثم الكشف عن جماليات أسلوب القرآن الكريم من الناحية البلاغية وخاصة من الناحية الموسيقية. وكذلك تكمن أهميتها في إبراز أهمية استخدام اللفظ المناسب لتوكيد المعنى المراد، والتكامل بين اللفظ والمعنى في القرآن الكريم. وهذا كله يتأتى عن طريق تحليل الشواهد القرآنية تحليلا عميقا يكشف عن جوانب ثلاثة، هي: الغرض البلاغي، والدلالات البلاغية، وكذلك سرّ الإعجاز في القرآن الكريم. وقد خلصت الدراسة إلى أن للدّلالات الخفية للطباق وخاصة في بيان الكون، دورا كبيرا في إبراز بلاغة القرآن الكريم وجمالياته في الآيات القرآنية، فضلا عن دورها في إبراز سرّ الإعجاز البلاغي والموسيقى للقرآن الكريم.

كلمات دالَّة: إعجاز موسيقى، فن الطباق، آيات كونية، محسنات بديعية.

١ – مقدمة

الطباق من المحسنات البديعية المعنوية. وهذا النوع من المحسنات البديعية ورد في القرآن الكريم كثيرا حيث يكثر استخدام القرآن لهذا النوع من الفن البلاغي في حديثه عن الكون. الطباق: يقال له أيضا التضاد، والتطبيق، والتكافؤ، والمطابَقة، والمقاسَمة (ابن رشيق القيرواني: ١٩٤١، ج/٥)، ولذلك استخدم الباحثون هذه المصطلحات في التَّعريف للطباق؛ لأنها اسم لمسمى واحد. في كتاب الصناعتين، عرَّف أبو هلال العسكري (المطابقة) فقال: "قد أجمع الناس أنَّ المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد" (العسكري: د.ت، ٣٣٩). أشار العسكري أيضا إلى أنَّ قدامة قد خالف العلماء عرَّف

المطابقة بأنَّها: "إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى" (العسكري: د.ت، ٣٣٩).

ويبدو أنَّ لقدامة بن جعفر رأياً في هذه المسمّيات؛ إذ جعل "الطباق" وما يشتقّ من أسماء لنوع من أنواع الجناس (ابن جعفر: د.ت، ٢٢)، ويفرد للّفظين المتضادّين اسم "التكافؤ" (قدامة بن جعفر: د.ت، ١٤٨)، ولأكثر من لفظين اسم "المقابلة".

أمّا النّابلسي، فقد عرّفه في كتابه "نفحات الأزهار" قائلاً: "الطباق ويقال له المطابقة، والتطبيق، والتضاد: هو الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة، سواء كان التّقابل حقيقيًّا أو اعتباريًّا...، ويكون الطِّباق بلفظين من نوع واحد اسمين" (النّابلسي: ١٢٩٩هـ، ٢٠)، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف: ١٨).

أيضًا، يبدو أنَّ القزويني في كتابه "التلخيص" ذكر تعريف أبي هلال العسكري نفسه؛ حيث قال: "المطابقة: وتسمى الطباق والتضاد أيضا، وهي الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة" (القزويني: ١٩٩٧، ٨٦). وقد عيّن تعريف ابن الأثير في كتابه "المثل السائر"؛ حيث قال: "فنّ المطابقة: وهذا النوع يسمى البديع أيضا، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين" (ابن الأثير الجزريّ: ١٩٩٨،ج٢/٢٤٤). أمَّا أسامة بن منقذ، في كتاب "البديع في نقد الشعر"، فقد سمّاه "التطبيق"، وعرّفه بقوله: "اعلم أنَّ التَّطبيق هو أَنْ تكونَ الكلمة ضدَّ الأخرى" (ابن منقذ: د.ت، ٣٦).

هنا، يمكن القول إنَّ تعريف محمد الجرجاني لـ: "المطابقة" أكثر وضوحًا ممَّا عند غيره؛ حيث عرّفها قائلاً: "هي أن تجمع في كلام واحد بين المتقابلين سواء كان التقابل صريحًا أم غير صريح وسواء كان التقابل بالضدية أم بالسلب والإيجاب أم بغيرهما، وسواء كان المتضادان: اسمين أم فعلين أم حرفين، أم مختلفين" (ركن الدين الجرجاني، د.ت: ٢٠٧).

وفي اللسان، قال ابن منظور: "المطابقة في أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير رجله موضع يده، فإذا فعل ذلك قال: طابق البعير. وتطابق الشَّيئان بمعنى تساوَيَا، وقد طابقه مطابَقَة وطِباقًا إذا ساواه، والمطابقة الموافقة، والتَّطابُق الاتّفاق، وطابقت بين الشيئينِ إذا جعلتُهما على حذوٍ واحدٍ وأَلْزَقْتُهما، وهذا الشيءُ وِفق هذا ووِفاقُه وطِباقُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

طِبَاقًا﴾ (نوح: ١٥). وقال الأصمعي: المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع (لسان العرب: ج١٠/٢١٣).

أما عن تعاريف المعاصرين، فمنها تعريف بدوي طبانة للطِّباق بأنَّه: "الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، بأن يكون بينهما تقابل وتنافٍ ولو في بعض الصور، سواء كان التقابل حقيقيًا، كتقابل القِدم والحدوث، أم اعتبارياً كتقابل الإحياء والإماتة..." (بدوي طبانة: ج١/٤٤٧). وقد أشار أحمد إبراهيم موسى إلى بلاغة "الطباق والمقابلة"؛ حيث قال: "الطباق والمقابلة من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده..." (أبو موسى:١٩٨٨، ٤٧١) أمّا عبد العزيز عتيق فقال إنه ليس بين التسمية اللغوية والتّسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة؛ لأن المطابقة أو الطباق في اصطلاح رجال البديع هي: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت واحد. كالجمع بين اسمين متضادين من مثل: النهار والليل، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل: يظهر ويبطن، وكذلك كالجمع بين الحرفين المتضادين، نحو قوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فالجمع بين حرفي الجر (اللام وعلى) مطابقة، لأن في (اللام) معنى المنفعة وفي (على) معنى المضرة، وهما متضادان. وقد تكون المطابقة بالجمع بين نوعين مختلفين كقوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾ (الأنعام: ١٢٢).

ويُلاحَظ هنا أنَّ (الطباق) في كتب البلاغة يختلف اختلافًا تامًّا عن (الطباق) المعروف في اللغة؛ لأنّ العلماء عرَّفوا الطباق بأنّه الجمع بين معنيين متضادّين، أو هو الجمع بين الشيء وضدِّه، مثل الجمع بين البياض والسّواد، واللّيل والنّهار، والحرّ والبَرْد.

٢. الطباق وأنواعه في البلاغة العربية (حقيقي ومجازي)

يقسم كثير من المؤلفين الطباق إلى قسمينِ، وعلى هذا الضوء يقول ابن أبي الإصبع المصري: "المطابقة ضربان: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز" (ابن الإصبع المصري: د.ت، ٣١). وذكر أحمد مطلوب أن "التكافؤ" في معناه العام والخاص فهو مثل الطباق في ذكر الشيء وضده، على أن يكون أحد الضدين حقيقة والثاني مجازا، وذلك كقول الشاعر دِعْبِل الخزاعي:

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رجلٍ * ضحك المشيبُ برأسه فبكى

فالضحك وإسناده إلى المشيب يُعتبر مجازًا، أمّا البكاء أي بكاء الرجل فهو حقيقة دون شك (ابن الإصبع: د.ت، ٣١). عيه، فإنَّ ابن أبي الإصبع قد فرّق بين الضرب الذي يأتي بألفاظ الحقيقة والضرب الذي يأتي بألفاظ المجاز، فقال: "فما كان منه بألفاظ الحقيقة سمّيَ طباقا، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤٍ" (ابن الإصبع: د.ت، ٣١)

أمَّا عن الطِّباق الحقيقي، فقد قسَّمه ابن أبي الإصبع إلى ثلاثة أقسام: طباق إيجاب، وطباق سلب، وطباق ترديد (ابن أبي الإصبع المصري: د.ت، ٣٢). وعند القزويني التَّقسيم الثُّلاثي نفسه؛ ولكنْ بمصطلح مغايرٍ للقسم الثَّالث، حيث ذهب إلى أنَّه: إيجابٌ، وسلب، وطباق إيهام التَّضاد (القزويني: د.ت، ٣٤٨-٣٥٣).

هذا، ونجد عند باحثين آخرين تقسيماتٍ أخرى للطِّباق، منهم —على سبيل المثال– أحمد مطلوب الذي قسمها إلى سبعة أنواع، هي: طِباق الإيجاب، والترديد، والحقيقِيّ، والخَفِيّ، والسَّلب، والمجازِيّ، والمعنَوِيّ (أحمد مطلوب: ٢٠٠٧،٥٢٢-٥٢٣). ويذكر بكري شيخ أمين نوعًا آخر للطِّباق سمَّاه "طباق فاسد"؛ إذ يقول: "إن الأصل في الطباق هو الجمع بين الشيء وضدّه، فإذا لم يجتمع ضدان لم يكن طباق.. فلو جمعنا بين الخبز والماء، أو الغناء والرّكض، أو الرسم والموسيقى، أو العلم والمال.. وما شابَهَ هذه الثنائيات ما جاز لنا أن نسمي ذلك طباقاً، ولو كان في هذه الثنائية ما يشفّ عن أثر ضئيل من آثار الطباق.

الخلاصة هنا، أنَّ الطباق من المحسنات البديعية المعنوية، وهي وسيلة إيضاح جيدة تعرض بها الأشياء أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعاني. فلا شك أن الجمع بين الأشياء المتطابقة يضفي على الكلام حسنا وجمالا، ويزيده رونقا وبيانا فالضد يظهر حسنه الضد.

٣ . فنُّ الطِّباق في جزء عمَّ وإعجازه الموسيقي في بيان قضية الكون

في القرآن آياتٌ كونيَّة كثيرة ورد فيها الطِّباق. ومما ورد من طباق الإيجاب في جزء عمّ في بيان قضية الكون، قوله في عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَافَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (النبأ: ١٠-١١)، "لإقامة الأدلة والبراهين على إمكان البعث، بتعداد مظاهر قدرة الله على الخلق والإبداع وإيجاد مختلف عجائب الكون، مما يدل على إمكان إعادة الناس بعد الموت" (الزحيلي: د.ت، ج٣٠/٣٦٨).

وإذا أمعنَّا النظر، وجدنا أنَّ الطباق هنا ليس فقط بين الليل والنهار، بل تدل الآيتان على الطباق بين السكن والحركة، مما يدل دلالة واضحة على مطاوعة جميع المخلوقات لسنة الله في الكَوْن، وكذلك بالحياة والممات، وهذا من الإعجاز القرآني الموسيقي.

ونلحظ الطباق اللفظي الضدي (الإيجاب) في قوله تعالى في بيان حلف الله تعالى لإثبات صدق الوحي القرآني ونبوة الرسول (ﷺ) (ابن كثير: ١٩٨٨، ج ٤٤٢/١٥): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٧ و١٨). الدلالة البلاغية هنا، هي الطباق بين (اللَّيْلِ) و(الصُّبْحِ). وفي الآيتين أيضا المقابلة كما أشار إليه ابن كثير أي: أقسم بالليل حين يقبل بظلامه، وبالنهار حين يقبل بضيائه (ابن كثير: ١٩٩٨، ج٣٣٦/٨). ونجد سر الإعجاز هنا في لون من ألوان التخييل، ويمكن أن نسميه "التشخيص"، فتصبح الحياة الجامدة ترتقي إلى حياة إنسانية ذي عواطف آدمية، فهذا التشخيص في قوله تعالى:﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يُخيل إلى القارئ هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس، ويتنفس معها الحياة (سيد قطب: ١٩٩٣، ٧٣).

وجاء طباق الإيجاب في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بين (السَّمَاوَاتِ) و(الْأَرْضِ) لبيان أن الله تعالى حقيق له بالعبادة والخشوع، وإليه الأمر كله، لا شريك له في السموات والأرض، ولا نديدَ، وعالم بجميع أعمال خلقه لا تخفَى عليه خافيةٌ (الزحيلي: د.ت، ج٣٠/٥٣٤-٥٣٥). وهنا تبدو عدَّة أشياء: أولاً، كتب كلمة (مُلْكُ) بدلاً من (مِلكُ)، للدلالة على حق الله المطلق الدائم على السماوات والأرض، أما (مِلك)، فهو غير مطلق أو حق مؤقت. ثانياً، تقديم (السماوات) على (الأرض) تقديما بلاغيا لترتيب وجودهما. أمّا تقديم ﴿عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على شهيد ولم يقل: "والله شهيد على كل شهيد" فللإشارة إلى إحاطة علم

الله تعالى على كل شيء ولا يمكن إنكار بذلك. وهذه كلها دليل على إعجاز القرآن من ناحية جمال أسلوبه.

وشبيه بما تقدم قوله تعالى في بيان صدق القرآن والرسالة قسَمُهُ تعالى بالسماء والأرض وهما طباق (الزحيلي: د.ت، ج٣٠/٥٥٧) . الإيجاب: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١١ و١٢) "والرجع: الرجع هو المطر، يسمى رجعاً لردّ الهواءِ ما تناوَلَه من الماء، وسمي الغدير رجعاً إمّا لتسميته بالمطر الذي فيه وإما لتَراجُعِ أمواجه وتردده في مكانه" (الراغب الأصفهاني، د.ت، ٢٥١).

ومن الواضح أنَّ في تقدم القسم بـ :(السماء) على (الأرض)؛لأن السماء تكون مبتدئة لهذا العالم العلوي لشرفه، ثم أتبعه العالَمَ السفلي فقال: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (منير محمود المسيري: ٢٠٠٥، ٦٩٢).

وقد أعجب الباحثون في استخدام القرآن "الرجع" و"الصدع" للدلالة على المطر والنبات، دقَّة بلاغيَّة متناهية في اختيار الكلمة؛ لأنه سمَّى شيئاً بحسب صفته وطبيعته. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ إعجاز القرآن هنا يظهر في نظمه حيث وردت في الآيتين الفواصل القرآنية متفقة الأواخر في الوزن والروي، ويحقِّق ذلك وقعًا موسيقيًّا مُنسابًا. وفي مثل هذا السِّياق يقول الباحث محمود أحمد نجا: "ومن السمات الواضحة للغة القرآنية في جزء عمّ تكرار القالب الصوتي للتعبير الذي توضع فيه الألفاظ في نظام دقيق فتجد له الأذن لذة، وفي تكراره متعة تجعله قريبا إلى النفس سريع العلوق بالقلب، سهلا في حفظه وترداده. وهذا القالب الصوتي مَقِيس بدقة متناهية في كثير من المواضع، وهي دقة معجزة باهرة. انظر إلى تكرار القالب الصوتي الذي تتطابق حركاته وسكناته وطوله في هذه العبارات القرآنية البليغة: قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ (النازعات: ٢٥-١٦). ويمكننا أن نحمل عليه- إذا تجاوزنا عن الفارق البسيط بين طول الصائت وطول الصامت- قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (عبس: ٢٥-٢٦)، محمود أحمد نحلة، ٣٥١-٣٥٢).

مثالٌ آخر للطِّباق، نجده في قوله عز وجلّ: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٨-٢٠)، في بيان دقائق خلق الله تعالى

وصنعه في بعض مخلوقاته، مع إبراز قدرته تعالى في عظيم الموجودات كالسماء والأرض من العدم للدلالة على قدرته على بعث الأموات من قبورهم يوم النشور للجزاء. والطباق هنا بين (السماء) و(الأرض) كما أننا نجد هنا مقابلة بين حالة رفعت السماء وحالة سطحت الأرض؛ أما الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧) ، فهي استفهام إنكاري على الكفار لإهمال النظر في الحال إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته. والنظر :﴿يَنظُرُونَ﴾ هنا نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق المنظور، وتعدية بحرف (إلى) تنبيه على إمعان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق؛ لأن "نظرا إلى كذا" أشد في توجيه النظر من نظر كذا، لما في (إلى) معنى الانتهاء حتى كأن النظر انتهى عند المجرور بـ: (إلى) انتهاءَ تمكُّن واستقرار كما قال الله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٣) ، وقُيّد فعل (ينظرون) بالكيفيات المعدودة في قوله: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، لزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال، أي لا ينظروا إلى دقائق هيئات خَلقها (ابن عاشور. د.ت: ج٣٠/٣٠٤).

هنا أيضًا، دقّة في التّعبير القرني في صِيَغ "رُفِعَتْ" و"سُطِحَتْ" المبنيّ على ما لم يُسمَّ فاعله، فهو للدلالة على قدرة الله تعالى، وعلى مطاوعة جميع المخلوقات له. والغرض من ذكر الاتجاه الأفقي من السماء المرفوعة والأرض المبسوطة كما يبدو؛ لغرس الحس من الاستهوال.

نجد طباق الإيجاب أيضا في قوله عزّ وجل: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (الفجر: ٣)، لبيان أن عذاب الكفار واقع حتمًا لا مفر منه يقسم الله تعالى بالفجر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، والشفع والوتر والليل (وهبة الزحيلي: د.ت، ج١٥/٦٠٠). والدلالة البلاغية هنا هي الطباق الإيجابي بين "الشفع" و"الوتر"، وذكر القرطبي أن (الشفع)، الاثنان، والوتر: الفرد. وعن ابن عباس الشفع: صلاة الصبح، والوتر: صلاة المغرب. وقيل أيضا إن الشفع والوتر هما آدم وحوّاء، لأن آدم كان فردا، فيشفع بزوجته (القرطبي: ٢٠٠٦، ج٢٢/٢٥٨).

هذا، وقد ذكر سيد قطب وجود اتزان الإيقاع في هذه الآية وما بعدها، وذلك أن عدلَ في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة، أو أن يُبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو

أخرت فيه، أو عدلت في النظم أي التعديل، نحو ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر: ١-٥)، فقد حذفت ياء (يسري) قصدا للانسجام مع الفجر، وعشر، والوتر، وحجر (سيد قطب: ١٩٩٣، ١٠٥). ومهما تعدَّدت معاني "الشَّفع والوتر"، فإنَّ تعدُّدها يؤَكِّد شموليَّة دلالة المعنى لطباق الإيجاب المذكورين.

ونجد الطباق الإيجابي بين (السماء) و(الأرض) أيضا في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، (الشمس: ٥-٦) حين أقسم الله تعالى بالمخلوقات الكونية العظيمة في العالم العلوي من السماء، ثم أتى بطباقها من العالم السفلي من الأرض، ثم على أحوال الإنسان بآلة التفكير، ودور الإنسان في تهذيبها أو إهمالها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٧). والمقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعة والتحذير من المعاصي (وهبة الزحيلي، **د.ت**، ج١٥/٦٣٠). الواو هنا واو القسم؛ أما "(ما) في المواضع الثلاثة: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾،﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾، ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ فإمّا مصدرية يؤوَّلُ الفعل بعدها بمصدر، فالقسم بأمور من آثار قدرة الله تعالى وهي صفات الفعل الإلهية وهي رفعُهُ السماء وطحوُهُ الأرض وتسوية الأرض" (ابن عاشور: د.ت، ج٣٠/٣٦٩).

نرى هنا دقة التعبير القرآني؛ حيث تقديم السماء على الأرض لمراعاة وجود السماء قبل وجود الأرض، كذلك الدقة في التعبير الإلهي حيث الترتيب جلي في استحضار السماء عقب ذكر الشمس والقمر، والأرض عقب النهار والليل في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾؛ (الشمس: ٣-٤) لأن الشمس والقمر مكانهما في السماء؛ أمّا النهار والليل فيكونان في سطح الأرض. وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم في النظم.

أيضًا، يتبيَّن هذا النوع العجيب من الطباق الإيجابي في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (الليل: ١-٢) بين الحالين (الليل) و(النهار) أقسم الله تعالى بالليل إذا غطّى بظلمته الكون، وبالنهار إذا تجلى وأنار العالم، للدلالة على أن تعاقب الليل والنهار فيه مصالح شتى للمخلوقات. قال المفسرون: أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكنٌ لكافة الخلق، يأوي الإنسان والحيوان إلى مأواه، ويسكن عن الاضطرابات والحركة، ثم أقسم بالنهار؛ لأن فيه حركة الخلق، ويبدأ فيه سعيهم إلى اكتساب الرزق، والحكمة في هذا القسم الإلهي في تعاقب بينهما من مصالح لا تحُصى لأنه لو

كان العمر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهارا لاختلت مصالح البشر لما لا راحةَ له (الصابوني: ٢٠٠١، ج٣/٥٤١).

وفي الطباق بين كلمتي الليل والنهار والمقابلة بين حالة الليل حين غطّى بظلمته الكون، وبالنهار إذا تجلى دليل واضح على إعجاز علمي للقرآن الكريم حين فسر هذا الكتاب المبين تعاقب الليل والنهار ومن ثم وضّح لنا كيفية حركة هذه الأرض حول الشمس.

من الآيات الكونيَّة التي وردت بالطِّباق كذلك قوله تعالى: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾ (قريش: ٢) في بيان نعم الله الجليلة على أهل مكة؛ حيث كان لهم رحلتان: الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى الشام من أجل التجارة وكسب الرزق. الطباق الإيجابي هنا بين "الشِّتَاء" و"الصَّيْفِ"، والطباق أو التقابل هنا تقابل اقتصادي، ليؤمن أقوات الناس ومعيشتهم بتأمين رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وذلك أن بلد قبيلة قريش كان غير ذي زرع، وأهلها غير أصحاب صناعة فلا وسيلة عندهم للرزق والكسب إلا التجارة والرحلة في طلبهما (محمد متولي الشعراوي: ١٩٨١، ج١/٩٦). وسر الإعجاز هنا بالإخبار عن الأمم السابقة.

ويأتي الطباق بين (الكوثر) و(الأبتر) في كلام الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ و﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣) ؛ لأن (الكوثر) معناه الخير الكثير أمّا (الأبتر) هو المنقطع عن كل خير (وهبة الزحيلي: د.ت، ج١٥/٨٣١). والكوثر: فَوعَل من الكثرة مثل نوفل من النفل والجوهر من الجهر، والعربُ تسمى كل شيء كثير في العدد والقَدرِ والخَطَرِ كوثراً (القرطبي: ٢٠٠٦، ج٢٢/٥١٩). قال أبو حيان: وذكر في الكوثر ستةٌ وعشرون قولاً (الطبري: ١٩٨٨، ج٣٠/٥٢٠-٥٢٣) ، والصحيحُ هو ما فسره به رسول الله (ﷺ)، فقال: "هو نَهرٌ في الجنة حافَّاتَاهُ من ذهبٍ، ومَجراه على الدُّرِ والياقوتِ، تُربتُه أطيبُ من المِسكِ، وماؤه أحلى من العسلِ"، وعن العباس: الكوثر: الخير الكثير (أبو حيان: ١٩٩٣، ج٨/٥٢١). وما ذهب إليه ابن عباس من أنه الخير الكثير جامع لأقوال المفسرين، فقد أعطى الرسول (ﷺ) الفضائل الكثيرة العميمة، أعطى النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة، والحوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوحات إلى غير ما هنالك من الخيرات صلوات الله وسلامه عليه. أمّا الأبتر، أي المقطوعُ فذكرُه من خيره وماؤه

الدنيا والآخرة (القرطبي:٢٠٠٦، ج٣٠/٥٢٠). إنَّ سر الإعجاز هنا يتجلى من خلال اختيار كلمة الأبتر بدلاً من المقطوع، وذلك لتسوية الحرف الأخير لتلك السورة.

٤. خاتمة

نخلص من هذا البحث إلى أن الدّلالات البلاغية في القرآن الكريم كثيرة جدًا ولا يمكن فهمها إلاّ بفهم البلاغة العربية. ومن هذه العلوم البلاغية، الطباق المندرج تحت المحسنات المعنوية في علم البديع. لذلك حاول هذا البحث الكشف عن الدّلالات الموجودة وراء المعاني الثانية للأسلوب القرآني؛ معتمدًا فيها على المنهج الاستقرائي والتحليلي وجرى استعراض منهج القرآن وإعجازه الموسيقى الذي يكمن في الآيات الكونية في بعض السُّوَر من جزء عمّ من خلال فنّ الطباق، وهي سورة النبأ، والتكوير، والطارق، وعبس، والغاشية، والفجر، والشمس، والطارق، والليل، وقريش، والكوثر. ويمكن تبيان أهم النتائج فيما يلي:

١. برز إعجاز القرآن في بلاغة الطباق في نظمه حيث وردت في كلِّ موضعٍ مما سبق الفواصل القرآنية متفقة الأواخر في الوزن والروي وهذا ما نسمى بالإعجاز الموسيقى للقرآن الكريم.
٢. الطباق من المحسنات البديعية المعنوية، وهو وسيلة إيضاح جيدة تعرض بها الأشياء أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعاني. فلا شك أن الجمع بين الأشياء المتطابقة يضفي على الكلام حسنا وجمالا، ويزيده رونقا وبيانا فالضد يظهر حسنه الضد.
٣. الطباق وإعجازه الموسيقى من أنسب الوسائل لإقامة الأدلة والبراهين على قدرة الله عز وجلّ، مثل إمكان البعث، بتعداد مظاهر عظمة وقدرة الله على الخلق والإبداع وإيجاد مختلف عجائب الكون، مما يدل على إمكان إعادة الناس بعد الموت.
٤. كما ونجد أيضا أن الطباق في القرآن الكريم في جزء عمّ بالجمع بين الأمرين أو الشَّيئين من التقرير والنفي ومن "الليل" و"النهار" يكسب دلالة جديدة تعرف من السياق.
٥. من الطباق وسر إعجازه الموسيقى، نجد في الآيات القرآنية لوناً من ألوان التخييل، ويمكن أن نسميه "التشخيص"، وبه ترتقي الحياة الجامدة إلى حياة إنسانية ذات عواطف آدمية.

من السمات الواضحة للغة القرآنية في جزء عمّ تكرار القالب الصوتي للتعبير الذي توضع فيه الألفاظ في نظام دقيق فتجد له الأذن لذة، وفي تكراره متعة تجعله قريبا إلى النفس سريع العلوق بالقلب، سهلا في حفظه وترداده. وهذا القالب الصوتي مَقِيس بدقة متناهية في كثير من المواضع، وهي دقة معجزة باهرة.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

Abd Aziz 'Atīq. (1985). *Ilm al-Badi'*. Beīrut: Dar al-Nahdah al-Arabiyyah.

Abd Malik Qasim. (2009). *Tafsīr al-Qur'an al-Azim Juz Amma*. Al-Riyadh: Dar al-Qasim. Ed1.

Abu al-Qasim al-Husaīn bin Muhammad al-Raghib al-Asfahanī. (n.d). *al-Mufradāt Fī Gharib al-Quran*. N.p: Maktabah Nazar Mustafa al-Baz. Vol2.

Abu al-Tayyib Ahmad bin Al-Husayn al-Ja'fi. (1983). Dīwān al-Mutanabbī. Beīrut: Dar al-Beīrut.Mustafā al-Baz. Vol 2.

Abu Hayyan al-Andalusī, Abu Hayyan Muhammad bin Yusof bin Alī bin Yusof bin Hayyan. (1993). *Tafsīr al-Bahr al-Muhīt*, Tahqīq: al-Syeikh Adil Ahmad Abd al-Mawjud wa al-Sheikh Ali Muhammad al-Mu'awwad. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah. Ed1.

Abu Hilla al-Askarī, Abu Hilal al-Hassan bin Abdullah bin Sahal bin Saied bin Mahran. (n.d). Kitab al-Sinā'atayn. Beirut: Dār al-Nahdah al-Arabiyyah.

Abu Musa, Muhamamd Muhammad. (1998). *Al-Balaghah al-Quraniyyah Fi Tafsīr al-Zamakhsharī wa Atharuha Fi al-Dirasat al-Balāghiyyah*. Qaherah: Maktabah Wahbah wa Dār al-Tadamun. ed 2.

Abu Tamam, Habīb bin Aus al-Ta'i. (1994). *Dīwān Abi Tamam*. Tahqīq: Rajī al-Asmar. Beīrut: Dār al-Kutub al-Arabiy. Ed2. Vol1.

Al-Jurjanī, Muhammad bin Ali bin Muhammad Rukn al-Dīn. (n.d). *al-Ishārāt wa al-Tanbīhat Fi al-Balaghah*. Tahqīq: Abd al-Qadir Husayn. Dār al-Nahdah Misr Li al-Tiba'ah wa al-Nashr.

Al-Mawardī, Abu al-Hasan Alī bin Muhammad bin Habīb. (n.d). *al-Nikat wa al-Uyun*. Tahqīq: al-Sayyid Abd al-Maqsud bin Abd Rahim. Beīrut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah wa Mu'assasah al-Kutub al-Thaqāfiyyah.

Al-Nablisi, Abd al-Ghani bin Ismaīl. (1299H). *Nafahat al-Azhar Ala Nasamat al-Ashar fi Madh al-Nabiy al-Mukhtār*. Damashq: Ta'u Bulaq.

Al-Qazwīniy, Jalal al-Dīn Muhammad bin Abd al-Rahman. (1997). *Al-Talkhīs Fī Ulum al-al-Balāghah*. Tahqiq: Ab al-Hāmid Handāwi. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Qazwiniy. (n.d). *al-Idah fī Ulum al-Balaghah: al-Ma'anī wa al-Bayan wa al-Badi'*. Manshurat Muhammad Ali al-Baydun. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Qurtubiy, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abī Bakar. (2006). *Al-Jami' Li Ahkam al-Qur'an al-Mubin Lima Tadammanahu Min al-Sunnah wa Ayi al-Qur'an*. Tahqīq: Abdullah bin Abd Muhsin al-Turkiy. Wa Kamil Muhammad al-Kharrat wa Mahir Habbush. N.p: Mu'assasah al-Risalah. ed1.

Al-Sabuniy, Muhammad Ali. (2001). *Safwat al-Tafasīr*. Beīrut: Dār al-Fikr.

Al-Tabarī, Abu Ja'far Muhammad bin Jarīr. (1998). *Jami' al-Bayan 'An Ta'wil al-Qu'an*. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Zamakhsahrī, Abu al-Qasim Jarullah Mahmud bin Umar. (1998). *Tafsīr Al-Kashāf*. Tahqīq: al-Syeikh Adīl Ahmad Abd al-Mujawwad wa Ali Muhammad al-Mu'awwad. Al-Riyadh: Maktabah al-Abikan. Ed1.

Al-Zuhayli, Wahbah. (n.d). *Al-Tafsīr al-Munīr*. Dimashq: Dār al-Fikr.

Badwi Tibanah. (1982). Mu'jam al-Balāghah al-Arabiyyah, al-Riyādh: Dār al-Ulum al-Riyādh, Vol1.

Bakri Syeikh Amīn. (2003). *Al-Balāghah al-Arabiyyah Fī Thaubiha al-Jadid- Ilm al-Badi'*. Beīrut: Dar al-ilmī Li al-Malayīn. Vol8.

Ibn Abbas al-Yazidi, Abu Abd al-Rahmān bin Yahya bin al-Mubārak al-Adawiy al-Baghdādi. 1987. *Gharib al-Qur'ān wa Tafsīruhu*. Tahqīq: Abd al-Razāk Husain. Beīrut: Mu'asasah al-Risālah.

Ibn Abī al-Isba' al-Misri. (n.d). Tahrīr al-Tahbīr Fī Sina'ah al-Shi'ir wa al-Nathr wa Bayan I'jaz al-Quran. Tahqīq: Hafnī M.Sharaf, Qaherah: Lujnah Ihya' al-Turath al-Islamī.

Ibn Abī al-Isba' al-Misrī. Abd al-Azim bin Abd Wāhid bin Zhāfir bin Abdullah bin Muhammad. (1963). *Badi' al-Qur'ān*. Tahqiq: Hafni M.Sharaf, Nahdah Misr li- Tiba'ah wa Nashr.

Ibn al-Athīr al-Halabiy, Najm al-Dīn Ahmad bin Ismaīl. (n.d). *Jauhar al-Kanz Talkhīs Kanz al-Bara'ah Fī Adawāt Zāwī al-Bara'ah*. Tahqīq: Muhamamd Zaghlul Salam, Iskandariyyah: Mansha'ah al-Ma'arif.

Ibn al-Athīr al-Jazrī, Dhiya' al-Din Abī al-Karam Muhammad bin Abd al-Karīm. (1998). al-Mathal al-Sa'ir Fī Adab al-Katib wa al-Sha'ir. Tahqīq: al-Syeikh Kamil Muhammad Muhammad Uwaydah, Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah. ed1. Vol 2.

Ibn Ashur, Muhamamd Tohir. (n.d). *al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunis: Dar al-Suhun.

Ibn Kathīr, Imad al-Dīn Abu al-Fida' Ismaīl bin Umar. 1989. *Tafsīr al-Qur'an al-Azim/ Tafsīr Ibn Kathir*. Tahqīq: Muhamamd Husain Sham al-Din. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Dīn Muhammad bin Mukarram. 1990. *Lisan al-Arab*. Qaherah: Dār al-Misriyyah. Ed 1. Vol 10.

Ibn Munqiz, Usamah. (n.d). *Al-Badī' Fī Naqd al-Shi'ir*. Tahqīq: Ahmad Ahmad al-Badawī wa Hamīd Abd al-Majīd. Al-Jumhuriyyah al-Arabiyyah al-Muttahidah: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah. Beirut: Wizarah al-Thaqafah wa al-Irshah al-Qumi.

Ibn Rashīq al-Qayrawanī, Abu Alī al-Hasan. (1941). *Al-Umdah*. Tahqiq: Muhy al-Din Abd Hamid. Beirut: Dar al-Jil. Vol 2.

Mahmud Ahmad Hasan al-Maraghī. (1999). *Fī al-Balaghah al-Arabiyyah: Ilm al-Badi'*. Beīrut: Dar al-Nahdah al-Arabiyyah. Vol2.

Matlub, Ahmad. (2007). *Mu'jam Mustalahat al-Arabiyyah wa Tatawwuriha*. Beīrut: Maktabah Lubnan.

Muhamamd Mutawallī al-Sha'rawiy. (1981). *Al-Muntakahab fī Tafsīr al-Qur'an al-Karīm*. Beīrut: n.p. vol1.

Munīr Mahmud al-Masīrī. (2005). *Dilalat al-Taqdīm wa al-Ta'khīr fī al-Qur'an al-Karīm*. Qaherah: Maktabah Wahbah. ed1.

Nihlah, Mahmud Ahmad. (1981). *Lughat al-Quran al-Karīm fī Juz Amma*. Beīrut: Dar al-Nahdah al-Arabiyyah.

Qudamah bin Ja'far. (n.d). *Naqd al-Shi'ir*. Beīrut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Qutb, Sayyaid. (1993). *Al-Taswīr al-Fanniy fī al-Qur'an*. Qaherah: Dar al-Shuruq. Ed14.

Yahya bin Hamzah bin Alī bin Ibrahīm al-Alawī. (1967). *Al-Tiraz al-Mutadammin Li Asrar al-Balaghah wa Ulum Haqa'iq al-I'jaz*. Qaherah: Matba'ah al-Muqtataf. Vol2.